

المرأة في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي "متعلمة ومعلمة"

الدكتور عبدالجليل عبدالمهدي
كلية الآداب – الجامعة الأردنية

مقدمة:

كان تعليم البنات منتشرًا انتشاراً ظاهراً في بلاد الشام، في العصرين الأيوبي والمملوكي، فقد تلقين تعليمهن في المراكز العلمية العديدة. وبلغت العناية بتعليمهن إحضار الكثير منهن للسماع في مجالس العلم، منذ السنة الخامسة من العمر، ومنهن من أحضرن في السابعة من العمر، بل إن بعضهن قد أحضرن إلى مجالس السماع منذ الصغر، وهن سن الثانية، كما سنتبينه في صفحات هذا البحث. وسنتبين من مظاهر العناية بتعليمهن أن العديد منهن قد سمعن في المجالس العلمية بإفادة إخوانهن، أو أزواجهن.

ومما يلفت النظر أن الكثير من البنات المشاركات في مجالس السماع كن من أقارب المسمع، أو المصنف، أو من أقارب كاتب السماع، أو من أقارب الرجال المشاركين في مجالس السماع. وكانت فتيات من الرقيق يشاركن في مجالس السماع أيضاً.

قرأت البنات القرآن، وتلاه بعضهن بالقراءات السبع، كما حفظ بعضهن الشاطبية. وسمعن الحديث، واشتغلن به: صحاحه، ومسانيده، وأجزائه، ومشيوخاته، وأماليه. ورحلن في سبيله. وحدثن. وقرأن في الفقه، والشعر، والعربية. وحصلن على الإجازات.

ثم درّست المرأة في المراكز العلمية العديدة، وسمع عليهن طالبو العلم، وأخذوا عنهن، ورحلوا إليهن. لقد تصدر بعضهن في مجالس السماع، وسمع عليهن العديد

من مشهوري العلماء من أمثال ابن عساكر، والمنذري، وابن حجر العسقلاني، وغيرهم.

قامت المرأة بدور ملموس في مظاهر الحياة الثقافية في بلاد الشام، وأسهمت بنشاط ظاهر في حركة التعليم آنذاك، فقد تتلمذ عليها الكثير من طالبي العلم وطالباته، وتزاحموا للأخذ عنها. ولهذا فليس غريباً أن نرى كتباً كثيرة خصصت للحديث عن النساء، وتعليمهن، وأشعارهن، مثل: أخبار النساء لابن الجوزي، ونزهة الجلساء في أشعار النساء للسيوطي، والروضة الغناء في تواريخ النساء لياسين خير الله العمري، وغيرها. كما نرى أقساماً قد خصصت في كتب أخرى، للحديث عن المرأة، مثل الضوء اللامع للسخاوي، فقد خصص الجزء الثاني عشر من كتابه للمرأة.

أماكن التعليم والتعلم:

تنوعت أماكن التعليم التي كانت المرأة تعلم فيها، أو كانت طالبات العلم تتعلم فيها، بين المنزل، والمسجد، والمدرسة، والزاوية، والرباط، وغيرها، من المراكز الأخرى. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن عدداً من النساء شاركن في تأسيس مثل هذه المراكز في دمشق، وحلب، وبيت المقدس، وغيرها، ووقفن عليها أوقافاً، ورتبن لها قراء، وفقهاء، وصوفية.⁽¹⁾ ولما كانت النصوص التي تتحدث عن تعليم المرأة في المسجد، أو في المدرسة قليلة، فقد نستنتج من هذا أن تصدرها للتدريس في تلك المعاهد العلمية كان قليلاً أيضاً. ولعله كان قليلاً في الزاوية، وفي الرباط. ومعنى ذلك أن تصدر المرأة المعلمة للتعليم كان يتم غالباً في منزلها. وفي هذا إجابة عن أسئلة عديدة حول تعليم المرأة، منها:

(1) انظر: الأعلام الخطيرة (دمشق، حلب)، الدارس، القلائد الجوهريّة، مختصر تنبيه الطالب، منادمة الأطلال، مهذب الروضة الفيحاء في أخبار النساء، الأئس الجليل، خطط الشام.

- أين كانت الفتاة تتعلم، وأين كانت المرأة المعلمة تعلم؟
- هل أنشئت مدارس خصصت لتدريس طالبات العلم؟
- هل خصصت أماكن خاصة في المدارس لتدريس طالبات العلم؟
- هل كانت طالبات العلم يدرسن في المساجد، ويحضرن الحلقات؟
- هل كانت طالبات العلم تحضر دروساً في المساجد، أو في المدارس من وراء حجاب؟

المنزل:

اتخذ كثير من النساء من منازلهن أماكن للاشتغال بالعلم والتعليم، وسمع فيها عليهن طالبو العلم، وأخذوا عنهن، وحصلوا على الإجازات منهن.

يذكر الحافظ ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، أنه قرأ على كثير من النساء العالمات، ومنهن من أخذ عنهن في منازلهن. ويوضح ذلك قوله: "أخبرتني أم أبيها فاطمة بنت علي بن الحسين، في منزلها، بقراءتي عليها، قالت: "(^١)

ومن ذلك أن الشيخة المحدثة فاطمة بنت الملك المحسن أحمد بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب (٥٩٧-٦٦١هـ) قد سُمع عليها بمنزلها، جوار المدرسة العادلية بدمشق، أجزاء في الحديث(^٢).

وكان بيت المحدثة المقرئة آسية بنت أحمد بن عبدالدائم بن نعمة (- ٦٨٧هـ) معموراً بالتلاوة والدرس. وقد سمع منها جماعة(^٣).

ويذكر أن العالمة الفاضلة، بنت القيم الواعظة، خديجة بنت يوسف بن غنيمة ابن حسين، أمة العزيز، البغدادية، ثم الدمشقية (٦٢٨-٦٩٩هـ)، قد قرئ عليها

(١) تاريخ دمشق، قسم النساء/ ٢٩٦، ٢٩٧.

(٢) انظر: شذرات الذهب ٥/٣٦٢، أعلام النساء ٤/٣٢.

(٣) انظر: أعلام النساء ١/٥.

"بمنزلها بدمشق سنة ٦٦٩هـ، من كتاب البعث لأبي بكر بن أبي داود". كما يذكر أنها قد "تفردت برواية المقامات الحريّة". وقرأها عليها البرزالي، وسمعها غيره. وسمعت عليها رسائل وكتب أخرى.^(١)

ويذكر أن الشيخة المحدثّة سارة بنت عمر بن أحمد بن عمر المقدسي، قد "قرئ عليها الجزء العاشر من كتاب اللطيف بشرح مذاهب أهل السنة ومعرفة شرائع الدين"، بسماعها من ابن عبدالدائم، في سنة ٧١٥هـ، بمنزلها بسفح قاسيون بدمشق، وأجازت بعضهم^(٢).

وسمع على الشيخة المحدثّة فاطمة بنت إبراهيم بن عبدالله بن أبي عمر المقدسية الصالحية (٦٥٤-٧٤٧هـ) بمنزلها بسفح قاسيون بدمشق، أحاديث من جزء أبي مسعود أحمد بن الفرات. بسماعها من أحمد بن عبدالدائم^(٣).

وسُمع على الشيخة فاطمة بنت نصر الله بن محمد بن عباس بن حامد بن خُليف السكاكيني، المولودة في سنة ٦٦٠هـ تقريباً، بمنزلها بظاهر دمشق، وأجازت ما يجوز لها روايته. وكُتب عنها بإذنها^(٤).

وسُمع على الشيخة المحدثّة خديجة شمس الدين بن عبيدالله المقدسي، بمنزلها بقاسيون، سنة ٧٤٧هـ، كتاب ذم الكلام لعبدالله الأنصاري. ويذكر أنها أجازت خلقاً كثيراً^(٥).

ويذكر ابن طولون، في حديثه عن شيخه تقي الدين أبي بكر بن محمد بن عبدالرحمن بن يوسف المزي، أنه سمع على أم عبدالرحمن باي خاتون بنت علي

(١) العبر ٣/٣٩٨، الوافي بالوفيات ١٣/٢٩٦، درة المجال ١/٢٦٤.

(٢) انظر: أعلام النساء ٢/١٣٨.

(٣) ذبول العبر ٤/٤٣.

(٤) انظر: الدرر الكامنة ٣/٣١٠.

(٥) انظر: أعلام النساء ١/٣٣٣.

ابن محمد بن عبدالبر السبكي، يقول: "أخبرتني أم عبدالرحمن... سماعاً عليها بمنزلها جوار دار الأطفمة، بالسبعة،... بدمشق"^(١).

وربما درّس في منزل الشیخة العالمة غيّرُها. يذكر ابن حجر العسقلاني أنه قرأ بمنزل الشیخة فاطمة بنت محمد بن عبدالهادي المقدسية الصالحية (٧١٩-٨٠٣)^(٢) على ابن أختها الشيخ المسند عمر بن محمد بن أحمد بن عبدالهادي بن عبدالحميد المقدسي الصالحي. وقد قرأ عليه "من أول الحديث الحادي والعشرين من موافقات زينب بنت الكمال"، زينب بنت أحمد بن عبدالواحد بن أحمد المقدسية، المعروفة ببنت الكمال (٦٤٦-٧٤٠)^(٣) "إلى آخر الموافقات بحضوره عليها"^(٤).

وربما أحضرت شیخة عالمة لتدرّس امرأة في منزلها، أي في غير منزل الشیخة العالمة، بل في منزل طالبة العلم المتعلمة. يذكر ابن عساكر أنه أحضر الشیخة المحدثة فاطمة بنت علي بن الحسين بن جدا العُكْبَرِيَّة^(٥)، إلى منزله ومنزل زوجه عائشة بنت علي بن الخضر السُّلَمِيَّة^(٦)، وسمعت الحديث من الشیخة فاطمة هذه. وهي واحدة من شیخات ابن عساكر نفسه. يقول ابن عساكر: "أسمعتها

(١) المعزة فيما قيل في المزة / ٢٠، وانظر الدارس ٥٢٦/١.

(٢) انظر: الضوء اللامع ١٠٣/١٢، إنباء الغمر ٣١٣/٤-٣١٤.

(٣) انظر: ذبول العبر / ١١٧، وفيات ابن رافع ٣١٦/١-٣١٨، الدرر الكامنة ٢٠٩/٢- الوافي بالوفيات.

(٤) ٦٨/١٥، مرآة الجنان ٣٠٥/٤، فهرس الفهارس ٦٦/٢، ٧١.

القلائد الجوهريّة ٣٩٨/٢، ٣٩٩.

(٥) انظر: تاريخ دمشق - قسم النساء / ٢٢٢، سير أعلام النبلاء ١٤٤/١٢.

(٦) انظر: تاريخ دمشق - قسم النساء / ٢٢٤.

الحديث من فاطمة... العكبرية. في دارنا^(١) ويدل هذا أيضاً على عناية الزوج بتعليم زوجته.

المسجد:

تقل الأخبار حول اشتغال المرأة بالعلم في المساجد، معلمة ومتعلمة. ومن تلك الأخبار القليلة ما يذكره الرحالة ابن بطوطة، محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي (٧٠٣-٧٧٩هـ)^(٢)، إذ يذكر أنه قد أجازته في من أجازته عدد من الشيخات العالمات، مثل "الشيخة الصالحة أم محمد عائشة بنت محمد بن مسلم بن سلامة الحراني" (٦٤٧-٧٣٦هـ)^(٣)، و"الشيخة الصالحة رحلة الدنيا زينب بنت كمال الدين أحمد" (٦٤٦-٧٤٠هـ)^(٤)، وقد حصل على الإجازة منها عام ٧٢٦هـ. وكان سماعه على زينب بنت الكمال في جامع بني أمية في دمشق. وكانت إجازته منها إجازة عامة. ويذكر أنه سمع عليها فيه جميع صحيح البخاري^(٥). وفيه أيضاً سمع على عائشة بنت محمد الحرانية، وكان في ما سمعه عليها أحاديث عوال من جزء ابن عرفة العبدي بسماعها من ابن عبدالدائم بدمشق. وقد سُمعت عليها أجزاء أخرى في الحديث^(٦).

(١) نفسه / ٢٢١.

(٢) الدرر الكامنة ٤/١٠٠، مقدمة الرحلة / ٥-٩.

(٣) العبر ٤/١٠٥، الدرر الكامنة ٢/٣٤٢، الوافي بالوفيات ١٦/٦٠٩.

(٤) زينب بنت أحمد بن عبدالرحيم بن عبدالواحد بن أحمد المقدسية، المعروفة بنت الكمال.

(انظر: ذيول العبر / ١١٧، الدرر الكامنة ٢/٢٠٩-٢١٠، مرآة الجنان ٤/٣٠٥، الوافي

بالوفيات ١٥/٦٨، شذرات الذهب ٦/١٢٦، أعلام النساء ٢/٤٦-٥١.

(٥) انظر: رحلة ابن بطوطة / ١٠٤، ١٠٥.

(٦) انظر: رحلة ابن بطوطة / ١٠٥، أعلام النساء ٣/١٨٩.

ويُذكر أن مولاة أبي أسامة، في مسجد حمص، كانت "تعلم النساء القرآن والسنن، والفرائض، وتفقهن في الدين"^(١).

المدرسة:

لم أستطع العثور إلا على خبر واحد في هذا الصدد. ويبين ذلك الخبر أن المرأة قد درّست بالمدرسة، وسُمع عليها هناك، إذ يُذكر أن الشيخة العالمية عائشة بنت سيف الدين أبي بكر بن عيسى بن منصور بن قواليج، المعروفة ببنت قواليج (- ٧٩٣هـ) "محدثه سُمع عليها بالمدرسة الخاتونية، ظاهر دمشق، سنة ٧٩٣هـ"^(٢).

ولدينا خبر آخر عن امرأة تصدرت للتدريس منذ أيام نور الدين زنكي، وهي الفقيهة فاطمة بنت أحمد السمرقندية. وكانت لها حلقة تدرّس فيها. وقد يصدق ذلك على العصرين الأيوبي والمملوكي في بلاد الشام. غير أن هذا الخبر لا يبين أين كانت فاطمة السمرقندية تعقد حلقة التدريس^(٣).

ويذكر الأسدي، وابن مفلح، في حوادث سنة ٦٢٨هـ، أنه في شهر رجب من تلك السنة درّس بالمدرسة الصاحبية الناصح الحنبلي، أبو الفرج عبدالرحمن بن نجم بن عبدالوهاب بن أبي الفرج الشيرازي الحنبلي (٥٥٤-٦٣٤هـ)^(٤)، وكان يوم الدرس ذاك يوماً مشهوداً. ويضيف الأسدي: "وحضرت الواقعة وراء الستر"^(٥). وكانت الواقعة قد بنت المدرسة له. وهي ربيعة خاتون بنت نجم الدين أيوب، أخت

(١) حلية الأولياء ١٠/١٢٩، وانظر: التربية والتعليم في الإسلام، الديوه جي / ٣٤.

(٢) انظر: الدرر الكامنة ١٢/٣٣٩-٣٤٠، شذرات الذهب ٦/٣٢٨، أعلام النساء ٣/١٣٦.

(٣) انظر: الأعلام الخطيرة - حلب/١١٢، مفتاح السعادة ٢/٢٧٣، ٢٧٤، أعلام النساء ٤/٩٤، ٩٥.

(٤) العبر ٣/٢١٩، ٢٢٠، البداية والنهاية ١٣/٤٤٦، النجوم الزاهرة ٦/٢٩٨.

(٥) القلائد الجوهريّة ١/٢٣٩، ٢٤٠.

السلطان صلاح الدين (-٦٤٣هـ)^(١). ومن هذا النص يتبين أن واقفة المدرسة حضرت بها درس الناصح بن الحنبلي، من وراء حجاب.

ومن الممكن الحديث عما يذكره السخاوي في مثل هذا المجال، إذ يذكر أن الشيخة هاجر (وتسمى عزيزة أيضاً) ابنة محمد بن محمد بن أبي بكر بن عبدالعزيز القدسي القاهري (٧٩٠-٨٧٤هـ) كانت تدرس الطلبة، وقد تزاحموا عليها، وكان السخاوي نفسه واحداً ممن حملوا عنها، وقرأوا عليها. ولكنه يذكر أنه قرأ عليها قليلاً. ويصفها بأنها كانت على نمط كثير من العجائز في عدم التحجب ونحوه، ثم يضيف قوله: "ثم حسن حالها، وقرأت عليها سائر ما وقفت عليه"^(٢). وهو بهذا يبين سبب قراءته قليلاً عليها عندما كانت غير متحجبة، وكيف أنه عاد وقرأ عليها سائر ما وقف عليه بعد أن حسن حالها كما قال. ويذكر السخاوي أن "شيوخها بالسمع أو الحضور كثيرون"، وكذلك كان شيوخها بالإجازة. وكان والدها قد اعتنى بها، "وأسمعها الكثير جداً من عوالي الأجزاء، والمشixات، والأربعينات، والفوائد. والكتب"^(٣).

ولعله تحسن الإشارة في هذا المجال إلى أن فاطمة السمرقندية، الآنف ذكرها، كانت تشجع طلاب العلم بالمدرسة الحلاوية في حلب، وتحسن إليهم، كما يقول أحد طالبي العلم فيها، إضافة إلى أنها كانت تدرّس كما تقدم، وكانت تفتي^(٤).

دور الحديث الشريف:

(١) انظر: الوافي بالوفيات ١٤/٩٧-٩٩، الدارس ٢/٧٩-٨٢.

(٢) الضوء اللامع ١٢/١٣١، ١٣٢.

(٣) نفسه.

(٤) انظر: الأعلام الخطيرة - حلب/ ١١٢.

مفتاح السعادة ٢/٢٧٣، ٢٧٤، أعلام النساء ٤/٩٤، ٩٥.

شاركت المرأة في المجالس العلمية التي كانت تعقد في دور الحديث الشريف، مثل دار الحديث الأشرفية في دمشق. وفي تلك المجالس سمعت على العلماء من أمثال المزي، الحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف بن عبدالرحمن (-٧٤٣هـ). ومنها مجلس عقده بها في سنة ٧٣٩هـ. وسمعت فيه طبقة من الفضلاء عليه. وكان في ذلك المجلس ثلاثة وعشرون رجلاً. وشاركت فيها امرأتان، وهما: ست الشهود بنت تقي الدين أبي بكر بن حسن بن أبي التائب الأنصاري، وهي زوج كاتب السماع. وعتيقة فرج بنت عبدالله النوبي. وورد في آخر كتاب السماع أنه قد تم في يوم الخميس الثامن من شهر ذي الحجة، في السنة المذكورة^(١).

وشارك رجال ونساء في مجالس سماع أخرى عقدها المزي، في سنة ٧٤٠هـ، بدار الحديث الأشرفية بدمشق أيضاً. وقد أجاز المزي جميع من سمعوا عليه رواية كتابه (تهذيب الكمال). وسمعت الجزء الأول من الكتاب مع تسعة عشر رجلاً. وقد تم ذلك في مجلسين، عقد "ثانيهما في يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من شعبان سنة ٧٤١هـ". وقد أجاز لهم جميع ما تجوز له روايته^(٢).

الخوانق والربط والزوايا:

أنشئت خانق وربط للنساء. يذكر عز الدين بن شداد أنه كان لطلب سبع خانق للنساء. وهي خانق أنشأت أكثرها نساء^(٣). وهنا نسأل: هل اقتصر الأمر في تلك الخوانق على إقامة النساء فيها أم أنهن اشتغلن بالعلم فيها؟ لقد اقتصر ابن شداد على ذكر تلك الخوانق، ولم يتحدث عن الدور التعليمي الذي يمكن أن تكون قد قامت به.

(١) انظر: تهذيب الكمال (مقدمة المحقق) ١/٩٦، ٩٧.

(٢) انظر: نفسه ١/١٠٦-١٠٩.

(٣) انظر: الأعلام الخطيرة - قسم حلب/ ٩٥.

ويتحدث ابن شداد عن رُبط بدمشق تنسب إلى نساء. ومنها رباط يصفه بأنه "رباط النساء"، ويذكر أن فيه مسجداً.^(١) ولكنه لم يتحدث عن دور تعليمي كانت تقوم به تلك الربط.

وكان في بيت المقدس رباط للنساء بالمدرسة التتكرية، لإقامة اثنتي عشرة امرأة فيه. وكانت للرباط شيخة تؤم بالنساء، وكن يجتمعن، ويقرأن سوراً من القرآن الكريم. وكن يعقدن مجالس ذكر. ولعلهن كن يشتغلن بالعلم أو ببعض أقسامه.^(٢) ولكننا نجد شيخة رباط المدق بدمشق أمة الكريم ابنة الناصح عبدالرحمن بن نجم الحنبلي (-٦٧٩هـ) تقرأ طالبي العلم، وممن كتبوا عنها ابن الخباز، والبرزالي.^(٣) ولعله يمكن القول إن تعليم المرأة في الخوانق والربط كان محدوداً، لا سيما إذا نظرنا إلى موازنته بتعليم المرأة في المنازل.

وكذلك كان الأمر في الزاوية. ومن الزوايا التي كان للمرأة نصيب فيها في مضممار الاشتغال بالعلم، والتعليم: الزاوية الداودية، والزاوية المعايية، والزاوية النحلاوية في دمشق، ففي الزاوية الداودية كانت الشيخة "عائشة بنت عبدالهادي" تشتغل بالعلم، وقد سمع منها طالبو العلم هناك. ويذكر ابن طولون أن الشيخ عبدالرحمن بن داود الصالحي الحنبلي (-٧٨٣هـ) سمع منها صحيح البخاري، وأن قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن أحمد بن ناصر بن خليفة الباعوني الدمشقي الصالحي (٧٧٧-٨٧٠هـ) قد سمع منها البخاري بفوت أيضاً. وتجدر الإشارة إلى أنه كان في هذه الزاوية مساكن للنساء.^(٤)

(١) انظر: الأعلام الخطيرة - قسم دمشق / ١٥١، ١٩٥، ١٩٦.

(٢) انظر: وثائق مقدسية ١/١١١، ١١٦، ١١٨.

(٣) انظر: الوافي بالوفيات ٩/٣٨٧.

(٤) انظر: القلائد الجوهريّة ١/٢٧٦، ٢٩٩، ٣٠٠.

وفي الزاوية المعاوية، المنسوبة إلى المعلم "معاية الكيال" (المتوفى سنة ٨٧٠هـ)، وكان قد أقام مجالس الذكر فيها حتى وفاته، أقامت زوجته عائشة أخت خليل الكيال الذكر فيها بعد وفاته. واستمرت تقيم مجالس الذكر فيها إلى أن توفيت^(١).

وفي الزاوية النحلاوية، المنسوبة إلى الشيخ علي النحلاوي المتوفى في حدود سنة ٨٥٠هـ، أقامت ابنته عائشة الوقت فيها بعد وفاة والدها. ويذكر ابن طولون أنه كان وهو صغير يحضر عندها الذكر، "عقيب صلاة العصر، يوم الجمعة" واستمر كذلك إلى أن توفيت^(٢).

وهناك إشارات إلى أماكن تُلقت فيها البنت تعليماً، إذ يذكر أن المحدثات ست الفقهاء ابنة أحمد بن محمد بن علي العباسي الأصبهاني (-٧٦٥هـ)^(٣) قد أحضرت في الثانية على المحدثات أمة الحق شامية بنت الحسن بن محمد البكري (-٦٨٥هـ)^(٤) بقلعة شيزر، مجالس الجوهرية أو أماليه^(٥) يروي ابن طولون قوله: "وكان ثم بيوت بأرض مَقْرَى^(٦)، وهي معروفة، وَثَمَّ بيوت ببيت أبيات^(٧) وَثَمَّ بيوت

(١) القلائد الجوهريّة ٢٩٨/١.

(٢) نفسه ٣٠٢/١-٣٠٣.

(٣) وفيات ابن رافع ٢٩٠/٢، الدرر الكامنة ٢٢١/٢، ٢٢٢.

(٤، ٥) وفيات ابن رافع ٢٩٠/٢.

(٦) مَقْرَى: موضع بين نهري يزيد وثور، ينسب إلى مخلاف من مخاليف اليمن نزل أصحابه في موضع قاسيون، قطنه كثير من العلماء. ولم يبق منه اليوم سوى طاحون ينسب إلى الموضع نفسه. ذكرها ابن عنين في شعره.

انظر: القلائد الجوهريّة (مقدمة المحقق) ٥٩/١-٦١.

(٧) بيت أبيات: قرية في سفح قاسيون. سكنها جماعة من العلماء والمحدثين.

انظر: القلائد الجوهريّة (مقدمة المحقق ٥٩/١).

بقصر اللباد^(١) ثم يذكر أنه كانت هناك شيخة محدثة، يقول: كان به كريمة راوية للحديث، وقد روى عنها الكثيرون به.^(٢)

المرأة في مجالس السماع مستمعة ومسمعة:

كثرت مجالس السماع التي كانت تعقد وتشارك فيها طالبات العلم، ويبدو هذا واضحاً من النظر في إجازات السماع الواردة في مخطوطات أو كتب. وفي تلك السماعات، نجد أثباتاً لأسماء المشاركين في مجالس السماع تلك، مرتبة على طبقات. وقد كثرت تلك السماعات في القرنين السادس والسابع للهجرة، وأكثرها في كتب الحديث، تليها كتب التاريخ والتراجم، وكتب اللغة والأدب^(٣).

ومن تلك المجالس التي شاركت طالبات العلم فيها مجلس سمعن فيه مع غيرهن من طالبات العلم أجزاء من كتاب تهذيب الكمال للمزي. لقد سمعت بعض أجزاء الكتاب على مصنفه، بقراءة الإمام جمال الدين أبي محمد رافع بن أبي محمد السلامي. وتجدر الإشارة إلى أنه قد شارك في ذلك المجلس محمد بن المصنف، وزينب ابنته، وابن أخيها عمر بن عبدالرحمن، وأخته خديجة، وأمهما فاطمة بنت محمد بن عبدالخالق، وبنت خالهم خديجة بنت محمد بن إبراهيم بن صديق السلمي، وأختها آسية. كما شارك فيه محمد ابن قارئ السماع جمال الدين السلامي، وعلاء الدين طيبرس بن عبدالله الفاروخي. وكان ذلك في يوم الأحد، العاشر من جمادى

(١) يسمى الآن بستان قصر اللبان شرقي مقري. وقف جزء منه على المدرسة الدماغية بدمشق.

(انظر: الدارس ١/٢٣٧، ٤١٢، القلائد الجوهريّة ١/٦١، ٦٢، ٨٦، منادمة الأطلال ٩٧، ٩٨.

(٢) القلائد الجوهريّة ١/٨٥، ٨٦.

(٣) انظر: إجازات السماع في المخطوطات القديمة - د. المنجد - مجلة معهد المخطوطات

العربية - ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م/ ٢٣٢-٢٣٥.

الآخرة، سنة ٧١٤هـ^(١) ومن الواضح أن معظم المشاركين في مجلس السماع كانوا من أقارب المزي: أولاده، وأولاد أحد أبنائه وأمهم، وبنات خالهم. إلى جانب ابن قارئ السماع، وطبيرس بن عبدالله. وهكذا كان السامعون أربعة من الذكور، وخمساً من الإناث. ولم يحدد مكان السماع الذي تم فيه ذلك المجلس.

ويذكر المزي في آخر الجزء الثالث والستين من كتابه أنه سمع منه، بمنزله في دمشق، ابنه وابنته، وحفيده، وخليل بن كيكلي العلائي، يقول المزي: "سمع هذا الجزء عليّ بقراءتي من لفظي أولادي محمد، وزينب، وابن أخيها عمر بن عبدالرحمن، وصلاح الدين خليل بن كيكلي العلائي (٦٩٤ - ٧٦١هـ)^(٢) وكان ذلك في يوم الاثنين، ذي القعدة، سنة ٧١٣هـ^(٣).

وفي مجلس سماع للمزي، عقده في يوم الأربعاء، الثاني عشر من شهر رجب سنة ٧١٩هـ، بدار الحديث الأشرفية بدمشق، شارك رجال ونساء، طالبو علم، وطالبات علم، وسمعوا الجزء الخامس والسادس على المصنف نفسه، بقراءة القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي (ت ٧٣٩)^(٤) وأما النساء اللواتي شاركن في ذلك المجلس، فقد كن من أقارب بعض الرجال المشاركين فيه، وهن ابنة أحد السامعين المشاركين في المجلس، وأمها، وأخت سامع آخر حضر ذلك المجلس. ورد في مجلس السماع ما نصه: "سمع جميع هذا الجزء السادس، والجزء الخامس

(١) انظر: تهذيب الكمال (مقدمة المحقق) ١/١٠٥، الدرر الكامنة ٢/٣٣٠، ٣٣١، ٢٤٥/٣.

٦٥/٥، إجازات السماع في المخطوطات القديمة/ ٢٤٣.

وانظر مثل ذلك في: تهذيب الكمال (مقدمة المحقق) ١/١٠٣.

(٢) انظر: طبقات الشافعية الكبرى ١٠/٣٥، ٣٦، الدرر الكامنة ٢/١٨٠، ١٨١، ذيل تذكرة

الحفاظ ٤٣، الأئس الجليل ٢/١٠٦، الدارس ١/٥٩-٦١.

(٣) انظر: تهذيب الكمال (مقدمة المحقق) ١/١٠٥.

(٤) انظر: الدرر الكامنة ٢/٣٢١-٣٢٣.

قبله بكمالهما، على المؤلف...: شمس الدين محمد بن عبدالله بن أحمد المصري المالكي المعروف بابن رُشَيْق، وابنته عائشة، وأمها خاتون بنت عبدالعزيز بن سليمان التاجر..، وزين الدين عمر بن عبدالعزيز بن عبدالله بن مروان الفارقي..، ونفيسة بنت عبدالعزيز بن الفارقي، أخت عمر المذكور". وقد أجاز لهم المزي "ما يرويه، وما يجوز له تسميعه"^(١).

وقد عقدت مجالس سماع أخرى في دار الحديث الأشرفية. وشاركت زوج كاتب السماع في أحدها، وهي ست الشهود بنت تقي الدين أبي بكر بن حسن بن أبي التائب الأنصاري، كما شاركت فيه عتيقة فرج بن عبدالله النوبي^(٢).

وفي مجلس آخر منها عقد بدار الحديث الأشرفية بدمشق أيضاً، في يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من شعبان سنة ٧٤١هـ، سمعت طبقة من طالبي العلم، وطالباته، الجزء الأول من كتاب تهذيب الكمال، على مصنفه. ومن النساء اللواتي شاركن في ذلك المجلس: قُطْلُو بنت عبدالله الرومية فتاة زينب بنت المسمع، وحببية بنت أيوب بن يوسف، زوج المصنف المسمع، وفاطمة، وأسماء ابنتا الإمام تقي الدين الجعبري، محمد بن سليمان بن عبدالله. وهما أختا شرف الدين عبدالله ابن الإمام تقي الدين الجعبري، وبرهان الدين إبراهيم بن الإمام تقي الدين الجعبري. وكان هذان الأخوان من المشاركين في مجلس السماع ذلك^(٣). ومن هذا يتبين أن تلك المشاركات في مجلس السماع كن من قريبات المسمع، أو فتاة ابنته، أو من قريبات بعض السامعين من طالبي العلم. ولكن تجدر الإشارة إلى امرأة أخرى شاركت في مجلس السماع ذلك، وهي أنملك بنت محمد بن عبدالله الحلبي.

(١) انظر: تهذيب الكمال (مقدمة المحقق) ١/١٠١، ١٠٢.

(٢) انظر: نفسه ١/٩٦، ٩٧.

(٣) تهذيب الكمال (مقدمة المحقق) ١/١٠٧، ١٠٨، وانظر: الدرر الكامنة ٣/٣٢٩.

ولم يكن لها قريبة بين السامعين. وقد أجاز لهم المسمع جميع ما تجوز له روايته بسؤال كاتب الطبقة^(١). ومن الواضح أن عدداً من الرقيق كانوا يحضرون مجالس السماع. وفي هذا المجال حضرت فتاة بنت المسمع كما تقدم.

واستقلت المرأة الشيخة العالمية المحدثه أحياناً بعقد مجلس السماع، ويذكر أن العديد من إجازات السماع، أو السماعات كانت من نساء الحنابلة بدمشق، فقد ظهر منهن شيخات عالمات محدثات. وكن "يُسْمَعْنَ في رباطات الحنابلة، أو في ديرهن بسفح قاسيون"^(٢).

عقدت الشيخة الصالحة المحدثه أم محمد هدية بنت علي بن عسكر الهراس البغدادية الصالحة (٦٢٦-٧١٢هـ)^(٣) مجلس سماع، وُسْمِعَ عليها جزء في الحديث. وقد ورد في مخطوطة هذا الجزء أنه قد سُمِعَ عليها "بسماعها من جعفر الهمذاني بسنده، بقراءة الفقيه الفاضل صلاح الدين خليل بن بدر الدين كيكلي العلاتي". وقد سمع منها في ذلك المجلس محمد بن القاسم بن محمد بن يوسف البزالي (٦٩٥-٧١٣هـ) كاتب السماع. وشارك في السماع أخته فاطمة، وأمهما دنيا بنت حسن بن بلبان السلوقي (٦٧٨-٧٥٩هـ)^(٤)، وفتاهما ياقوت بن عبدالله، ولطيفة بنت الشيخ محمد بن عمران بن عامر الحراني المقرئ الضرير". وكان ذلك في يوم الثلاثاء السادس من شهر جمادى الآخرة سنة ٧٠١هـ^(٥). وتبين من نص هذا السماع أن المشاركين فيه كانوا خمسة، ثلاثة منهم أقارب، وهم أخ وأخت، وأمهما. ورابعهم فتاهم ياقوت. وكان واحد من المشاركين في المجلس من الرقيق.

(١) تهذيب الكمال (مقدمة المحقق) ١/١٠٨.

(٢) انظر: إجازات السماع في المخطوطات القديمة/ ٢٣٦.

(٣) الدرر الكامنة ١٧٧/٥، شذرات الذهب ٣١/٦، أعلام النساء ٢٠٨/٥-٢٠٩.

(٤) الدرر الكامنة ٤/٢٥٩.

(٥) نفسه ٢/١٩٣.

وتجدر الإشارة إلى أن سن محمد البرزالي كان ست سنوات، وكان سن كل من فاطمة ولطيفة خمس سنوات^(١). وكان سن أم عمر وفاطمة ثلاثاً وعشرين سنة.

كان سماع النساء على أقاربهن في الغالب، أي أنهن يتلقين العلم في منازلهن، بل في منازل آبائهن، أو ذويهن غالباً. كما سمعن من أجدادهن، أو آبائهن، أو أمهاتهن أو غيرهم. يذكر أبو شامة المقدسي نقلاً عن أبي المظفر سبط ابن الجوزي، يقول: "قال أبو المظفر: كان لجدي عدة بنات منهن والدتي رابعة، وشرف النساء، وزينب، وجوهرة، وست العلماء الكبرى، وست العلماء الصغرى، وكلهن سمعن الحديث من جدي وغيره"^(٢). ومن الواضح أن سماعهن لم يقتصر من والدهن، فقد سمعن من غيره من العلماء.

كان العديد من البنات اللواتي سمعن على أجدادهن وآبائهن من بيوتات الحديث، ومنهن الشيخة المحدثة عزيزة ابنة علي بن يحيى بن علي بن الطراح المتوفاة سنة ٦٠٠هـ، وأختها الشيخة الصالحة ست الكتبة نعمة المتوفاة سنة ٦٠٤هـ. يقول المنذري في حديثه عن الشيخة عزيزة: "وهي من بيت الحديث، حدثت هي، وأخوها أبو جعفر محمد، وأختها نعمة، وأبوهما أبو الحسن علي، وجدهم أبو محمد يحيى، وجد أبيهم أبو الحسن علي، وقد سمعت عزيزة من جدها وأبيها. كما سمعت نعمة من جدها يحيى، وروت الكثير عنه بدمشق. وكانت قد سمعتنا من علماء آخرين. وكذلك كان شأن أختها جوهرة"^(٣).

وسمعت الشيخة الصالحة المسندة عائشة بنت عيسى بن أحمد المقدسي (٦١١-٦٩٧هـ) من جدها موفق الدين، وروت عنه. كما سمعت من علماء

(١) انظر: إجازات السماع في المخطوطات القديمة / ٢٤٦.

(٢) ذيل الروضتين / ٢٦، ٢٧.

(٣) انظر: التكملة لوفيات النقلة ٤٨/٣، الذيل على الروضتين / ٦٣.

آخرين. وسمعت من عدد من الشيخات العالمات. ومنهن زينب بنت عبدالواحد، وسارة بنت عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة، وصفية بنت الموفق^(١).

واستمرت هذه الظاهرة التعليمية في القرن الثامن الهجري، كما كانت من قبل. سمعت الشيخة الصالحة المسندة ست الوزراء بنت عمر بن أسعد بن المتجا بن أبي البركات التتوخية الدمشقية الحنبلية (٦٢٤-٧١٦هـ) من والدها أجزاء في الحديث. وكانت خاتمة من روى عنه بالسماع، كما سمعت من غيره من العلماء. ومما سمعته صحيح البخاري، ومسند الشافعي^(٢).

وسمعت المحدثة أسماء بنت محمد بن سالم بن الحسن البعلبكي، المعروف بابن صصرى، (٦٣٨-٧٣٣هـ) على جدها لأمها أجزاء في الحديث^(٣).

وسمعت المحدثة فاطمة بنت عبدالدائم بن أحمد بن عبدالدائم (٦٦٦-٧٣٤هـ) من جدها، وحضرت عليه أجزاء في الحديث^(٤).

وأحضرت الشيخة المسندة فاطمة بنت عبدالرحمن بن المسلم الصالحية (٦٥٦-٧٤٠هـ) على جدها لأمها التقي الواسطي، تقي الدين إبراهيم بن علي الواسطي الصالحي الحنبلي، مسند الشام (٦٠٢-٦٩٢هـ)^(٥) كما أحضرت على غيره من العلماء. وسمعت، وحصلت على إجازات عديدة^(٦).

(١) انظر: القلائد الجوهريّة ٤٢٨/٢، شذرات الذهب ٤٣٨/٥، أعلام النساء ١٨١/٣.

(٢) انظر: ذيول العبر/ ٤٤، الدرر الكامنة ٢٢٣/٢-٢٢٤، الوافي بالوفيات ١١٧/١٥، البداية والنهاية ٧٩/١٤، النجوم الزاهرة ٢٣٧/٩، القلائد الجوهريّة ٥٠٠/٢.

(٣) انظر: ذيول العبر/ ٩٧، الدرر الكامنة ٣٨٤/١، ٣٨٥.

(٤) الدرر الكامنة ٣٠٤/٣.

(٥) انظر: العبر ٣٧٨/٣، الوافي بالوفيات ٦٦/٦-٦٧.

(٦) انظر: وفيات ابن رافع ٣٠٤/١، الدرر الكامنة ٣٠٤/٣، ٣٠٥.

وسمعت المحدثة امامة بنت عبدالسلام بن عبدالخالق بن سعيد البعلبكية (-٧٤٤هـ) من جدتها ست الأهل بنت علوان بن سعد بن علوان بن كامل البعلبكية الحنبلية (-٧٠٣هـ)^(١).

وسمعت الشيخة الصالحة المسندة فاطمة بنت إبراهيم بن عبدالله بن أبي عمر المقدسية (٦٥٦-٧٤٧هـ) على والدها، وعم والدها. وكانت قد أحضرت على عدد من العلماء. وقد سمعت مشيخة ابن عبدالدائم، وأجزاء في الحديث، ثم حصلت على عدد من الإجازات. وتفردت بالرواية عن عدد من شيوخها^(٢).

واستمرت هذه الظاهرة بارزة في القرن التاسع الهجري، كما كانت في القرون السابقة.

يذكر ابن حجر العسقلاني والسخاوي أن فاطمة ابنة أحمد بن محمد بن علي الحسينية الحلبية (٧٣٢-٨١٧هـ) قد "أسمعت الكثير من جدها لأمها الجمال إبراهيم بن الشهاب محمود"، وحصلت على إجازات^(٣).

وأحضرت المحدثة فاطمة ابنة خليل بن علي الحرستاني الدمشقية الصالحية المتوفاة بعد سنة ٨٧٣هـ على جدها لأمها عبدالله بن خليل الحرستاني الدمشقي الصالحي الحنبلي (٧٢٧-٨٠٥هـ)^(٤). وقد سمعت منه عدداً من الكتب والأجزاء والأمال، وأجازها بها. وتتنوع موضوعاتها بين الحديث والشعر، والتاريخ، وفضائل البلدان، وغير ذلك^(٥).

(١) انظر: نيول العبر/ ٨، الدرر الكامنة ١/٤٤٠، ٢/٢١٩.

(٢) انظر: نيول العبر/ ١٤٣، وفيات ابن رافع ٢/٣٦، الدرر الكامنة ٣/٣٠٠.

(٣) انظر: إنباء الغمر ٢/٤٧٤، الضوء اللامع ١٢/٨٨، ٨٩.

(٤) إنباء الغمر ٥/١٨، الضوء اللامع ١٢/٩١.

(٥) الضوء اللامع ١٢/٩١.

وأحضرت أسماء ابنة أحمد بن إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي المزي، المتوفاة بعد سنة ٨٦٠هـ، وهي في الخامسة من عمرها لتسمع على ابنة عم والدها ست القضاة ابنة عبد الوهاب بن كثير المتوفاة سنة ٨٠١هـ^(١). وكانت أسماء هذه من بيت علم ورواية. كما يقول السخاوي^(٢).

ويذكر السخاوي أن ست القضاة حفصة ابنة يحيى بن محمد بن عمر بن حجي المتوفاة بعد سنة ٨٩٦هـ، "قرأت، وتعلمت الخط، وتميزت بتدريب عمته زبيدة ابنة محمد". وكانت عمته رئيسة وجبهة. ويذكر أنها قرأت أربعين النووي، وعمدة الأحكام^(٣).

وسمعت آسية ابنة محمد بن إبراهيم الدمشقية المتوفاة بعد سنة ٨٩٦هـ على جدتها ست القضاة ابنة ابن زريق (ابنة أبي بكر بن عبدالرحمن بن محمد بن أحمد القرشي العمري المقدسي الحنبلي، ويعرف أبوها بابن زريق) (٧٩٧-٨٦٤هـ)^(٤). وقد سمعت مع السخاوي وغيره من طالبي العلم، بحضور أخيها. يقول السخاوي: "وسمعت معنا بدمشق مع أخيها على جدتها ست القضاة ابنة زريق"^(٥) ولعل آسية كانت عند سماعها في ذلك المجلس في حوالي العاشرة من عمرها، فقد ولدت في سنة ٨٥٢هـ^(٦). وتوفيت جدتها في سنة ٨٦٤هـ، كما تقدم. وإذا كان ذلك المجلس الذي سمعت فيه مع أخيها هو المجلس الذي يشير السخاوي إليه، في ترجمته لأخيها

(١) إنباء الغمر ٦٠/٤، الضوء اللامع ٦/١٢.

(٢) الضوء اللامع ٦/١٢.

(٣) (٤، ٣) الضوء اللامع ٢١/١٢، ٣٧.

(٤) نفسه ٥٦/١٢، ٥٧.

(٥) نفسه ٣/١٢.

إبراهيم، فإنها كانت في السابعة من عمرها. يقول السخاوي: "وسمع معنا إبراهيم بدمشق في سنة تسع وخمسين على جدته"^(١).

ومن الملحوظ أنها قد سمعت بحضور أخيها إبراهيم (٨٤٣- بعد ٨٩٥هـ)، وكان عمره يزيد على عمر أخته تسع سنوات^(٢).

وسمعت البنت في المجالس العلمية التي كان العلماء يعقدونها. وقد سمعت في تلك المجالس التي ضمت الكثير من طالبي العلم، وكان سماعها بإفادة أخيها.

سمعت المحدثّة اي ملك ابنة إبراهيم بن خليل بن عبدالله البعلبكية الدمشقية، المعروفة بابنة الشرائحي (-٨١٥هـ)، من ابن أميلة، أبي حفص عمر بن الحسن ابن مزيد بن أميلة بن جمعة المراغي ثم الحلبي، ثم الدمشقي، ثم المزي (٦٧٩- ٧٧٨هـ)^(٣) "بإفادة أخيها، ومعه الكثير". ويذكر السخاوي أنها سمعت مع شيخه ابن حجر العسقلاني^(٤). ولم تحدد الرواية عدد طالبي العلم الذين سمعت معهم، ولكنهم كثيرون كما تقدم. وقد كان سماعها بإفادة أخيها جمال الدين عبدالله بن إبراهيم بن خليل، المعروف بابن الشرائحي (٧٤٨-٨٢٠هـ)^(٥). وقد سمعت ابنة الشرائحي هذه أجزاء في الحديث، وحصلت على إجازات عديدة من علماء وعالمات^(٦).

وسمعت المحدثّة نفيسة بنت إبراهيم بن سالم بن بركات الأنصاري (٦٦٣-

٧٤٩هـ) "بإفادة أخيها" إسماعيل، المعروف بابن الخبّار الدمشقي (٦٢٩-

(١) نفسه ١/١٢٤.

(٢) نفسه ١/١٢٣-١٢٥.

(٣) الدرر الكامنة ٣/٢٣٥-٢٣٦.

(٤) الضوء اللامع ١٢/١١.

(٥) نفسه ٥/٢-٣.

(٦) انظر: نفسه ١١/١٢.

٧٠٣هـ^(١)، على ابن عبدالدائم جزء الدعاء، وجزء ابن عرفة"، كما سمعت قسماً من مشيخته التي خرّجها أخوها. وسمعت من علماء آخرين، وحصلت على إجازات عديدة. وكان أبو شامة المقدسي واحداً من العلماء الذين أجازوا لها^(٢).

وسمعت الزوجة بإفادة زوجها، من العديد من الشيوخ العلماء والشيخات العالمات. ومن ذلك أن المحدثّة فاطمة بنت محمد بن نصر الله بن القمر الدمشقية، زوج الحافظ الذهبي، المتوفاة سنة ٧٥٠هـ، سمعت بإفادة زوجها من عدد من العلماء والعالمات. وممن سمعت عليهم المحدثّة هدية بنت علي بن عسكر البغدادية ثم الصالحية (٦٢٦-٧١٢هـ)^(٣)، ثم روى عنها ولده وغيره^(٤).

وسمعت بركة ابنة أبي بكر بن أحمد الصالحية الدمشقية (-٨٤٠هـ) مع زوجها الصدر الياصوفي الحافظ، في سنة ٧٨٢هـ، من عائشة ابنة أبي بكر بن قواليج^(٥).

المرأة تعلم طالبي العلم من الرجال:

سمع طالبو العلم على الشيخات العالمات، وأخذوا عنهن، وقرأوا عليهن، دون تحديد المكان الذي سمعوا فيه، أو قرأوا، تحديداً دقيقاً، إذ يكتفي بالقول: بدمشق، أو بسفح قاسيون، أو بالصالحية، أو بالمزة، أو بقلعة كذا، أو مقام كذا، أو في حلب، أو في بيت المقدس، وهكذا.

(١) الدرر الكامنة ٣٨٦/١-٣٨٧.

(٢) انظر: الدرر الكامنة ١٦٩/٥-١٧٠، وفيات ابن رافع ٧٦/٢، لحظ الألاحظ/ ١٢٣.

(٣) انظر: الدرر الكامنة ١٧٧/٥، شذرات الذهب ٣١/٦، أعلام النساء ٢٠٨/٥-٢٠٩.

(٤) الدرر الكامنة ٣١٠/٣.

(٥) الضوء اللامع ٣/١٢.

يذكر الحافظ المنذري أنه لقي الشيخة المسندة أم الفضل كريمة بنت عبد الوهاب بن علي بن خضر القرشية الزبيرية الدمشقية (-٦٤١هـ)^(١) ببيت لها في ظاهر دمشق، وسمع منها. وكانت قد أجازت له في سنة ٥٩٥هـ^(٢).

وروت المحدثة خديجة بنت عبد الرحمن المقدسي (٦١٧-٧٠٢هـ)، وأجازت وقرئ عليها، وسمع منها بسفح قاسيون^(٣).

وحدثت الشيخة المحدثة نفيسة بنت محمد بن تمام بن يحيى الحميرية (-٧١٩هـ)، وسمع عليها بالمرّة^(٤).

ومن ذلك أن الكثير من الشيخات العالمات أسمعن، وأقرأن بصالحية دمشق كما تذكر الروايات. لقد أثر بنو قدامة الجماعيليون المقدسيون في نهضة المرأة العلمية، و"أحضروها حلقات العلم، فنشأ في الصالحية بدمشق حركة نسائية ثقافية جُلّ العالمات فيها كنّ من بني قدامة والحنابلة"^(٥) يذكر السخاوي أن الشيخة المحدثة فاطمة ابنة خليل بن علي الحرستاني الدمشقية الصالحية المتوفاة بعد سنة ٨٧٣هـ، قد حدثت، وسمع عليها "بصالحية دمشق". وقد سمع عليها كتاب الشمائل للترمذي. وقرأ عليها يوسف بن عبد الهادي أجزاء في الحديث. وكتباً في الشعر، والتاريخ، وفضائل البلدان، وغيرها^(٦).

(١) انظر: نيل الروضتين/ ١٧٣، العبر ٢٤٢/٣، تذكرة الحفاظ ١٤٣٤/٤، النجوم الزاهرة ٣٤٩/٦،

تكملة الإكمال/ ٢٨٣، ٢٨٤، الدارس ٥٣/١، ٣٥/٢. أعلام النساء ٢٤٢/٤-٢٤٣.

(٢) التكملة لوفيات النقلة ١٥/٣، ١٦، وانظر المنذري وكتابه التكملة/ ١٢٠.

(٣) انظر: أعلام النساء ٣٣٤/١.

(٤) انظر: الدرر الكامنة ١٧٠/٥، أعلام النساء ١٩٠/٥.

(٥) انظر: القلائد الجوهريّة (مقدمة المحقق) ١٠/١، في رحاب دمشق/ ٤٣.

(٦) انظر: الضوء اللامع ٩١/١٢، أعلام النساء ٥٣/٤-٥٥.

يذكر السخاوي أن شيخه ابن حجر العسقلاني، قد سمع من الشيخة المحدثّة فاطمة ابنة عبدالله بن محمد بن عبد الحجاجية الحورانية (٧٣٧-٨١٨هـ)^(١) يقول: "وسمع منها شخيماً قديماً بصالحية دمشق. وذكرها في معجمه". وسمع منها غيره في سنة ٨١٥هـ^(٢). ويذكر ابن حجر نفسه أنه قد قرأ الكثير من الكتب، والأجزاء بالصالحية على الشيخة فاطمة بنت محمد بن عبدالهادي بن عبدالحميد المقدسية (٧١٩-٨٠٣) وقد أكثر من الأخذ عنها. وذكرها في معجمه واحدة من شيخاته اللواتي أخذ عنهن^(٣).

ويذكر السخاوي أنه قرأ على الشيخة المحدثّة عائشة ابنة محمد بن أحمد القرشي الأموي الحلبي الشافعي، ابنة ابن العجمي (٨١١-) في حلب. يقول: "... وحدثت، وسمع منها الطلبة. قرأت عليها بحلب"^(٤).

لقد كان طالبو العلم يرحلون في سبيل العلم، ويأخذون عن العديد من الشيخات العالمات، كما رأينا في صنيع ابن حجر العسقلاني، والسخاوي. ومثل ذلك صنيع المنذري كما يبدو في قوله، وهو يتحدث عن ست الكتبة نعمة ابنة علي بن يحيى بن علي بن الطراح (٥١٨-٦٠٤): "لقيتُ ست الكتبة بدمشق، وسمعت منها"^(٥).

ورحل طالبو العلم إلى الشيخة المحدثّة زينب بنت أحمد بن عمر بن أبي بكر ابن شكر المقدسية ثم الصالحية (٦٤٥-٧٢٢هـ)، وكانت قد حدثت بدمشق،

(١) الضوء اللامع ٩٣/١٢.

(٢) نفسه ٩٣/١٢.

(٣) إنباء الغمر ١٨٠/٢، ١٨١، الضوء اللامع ١٠٣/١٢.

(٤) الضوء اللامع ٧٩/١٢.

(٥) التكملة لوفيات النقلة ٢٠٢/٣، ٢٠٣.

والقدس، ومصر، وغيرها. ومن ذلك أن العديد من طالبي العلم رحلوا إلى بيت المقدس، وسمعوا فيه من زينب بنت شكر، وحصلوا على الإجازة منها. ومنهم المسند بدر الدين الحسن بن علي بن عمر الصالحي (٧١٣-٧٨٨هـ)^(١)، والمسند ناصر الدين محمد بن محمد بن داود المقدسي الصالحي الحنبلي (٧٠٨-٧٩٦هـ)^(٢)، وشهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن عبد الحميد بن عبد الهادي المقدسي الصالحي الحنبلي (٧٠٧-٧٩٨هـ)^(٣). وغيرهم.^(٤)

إجازة الشیخات العالمات لمشهوري العلماء^(٥):

ويبدو دور المرأة في التعليم جلياً من النظر في تراجم العديد من أشهر العلماء الذين سمعوا من شیخات عالمات، وقرأوا عليهن، وأخذوا عنهن، وحصلوا على الإجازات منهن.

وممن يتمثل بهم في هذا المجال الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، المعروف بابن عساكر (٤٩٩-٥٧١هـ)، فقد ترجم في قسم خاص من تاريخه، تاريخ دمشق، لمائة وست وتسعين من النساء. ويذكر أنه أخذ عن إحدى وثمانين من الشیخات العالمات اللواتي تحدث عنهن في تاريخه. ومنهن من قرأ عليهن، أو سمع منهن، أو كتب عنهن، أو حدّث^(٦).

(١) ذیول العبر ٦٥/٤، الدرر الكامنة ٢/٢١٠، أعلام النساء ٢/٥١-٥٢.

(٢) القلائد الجوهريّة ٢/٤٠٥، ٤٠٦.

(٣) نفسه ٢/٤١٠، ٤١١.

(٤) نفسه ٢/٤٥٧، ٤٥٨.

(٥) انظر: ذیول العبر/ ٦٥، الدرر الكامنة ٢/٢١٠، الوافي بالوفيات ١٥/٦٦-٦٧، القلائد

الجوهريّة ٢/٤٠٥، ٤٠٦، ٤٥٨، الدارس ١/٦٠، أعلام النساء ٢/٥١-٥٢.

(٦) انظر: تاريخ دمشق، قسم النساء، سير أعلام النبلاء ٢٠/١٤٨، ٥٥٠، تكملة الإكمال/ ٤٦، ٤٧،

٢٢٢، ٢٢٣، خطط الشام ٦/٧٥.

والحافظ المنذري، زكي الدين عبدالعظيم بن عبدالقوي بن عبدالله (-٦٥٦هـ) سمع من النساء، وكتب عنهن، وحصل على الإجازات منهن، فقد سمع بدمشق من الشيخة ست الكتبة نعمة بنت علي بن يحيى الطراح البغدادي، والشيخة كريمة بنت عبدالوهاب الزبيرية الدمشقية. وأجازت له من دمشق الشيخة زينب بنت إبراهيم بن محمد بن أحمد بن إسماعيل القيسي (-٦١٠هـ)^(١) سنة ٦٩٥هـ، والشيخة رابعة بنت أحمد بن محمد بن قدامة المقدسية (-٦٢٠هـ)^(٢)، وابنة أخيها الشيخة آمنة بنت محمد بن أحمد بن قدامة المقدسية (-٦٣١هـ)^(٣)، وغيرهن من الشيخات العالمات^(٤). لقد أورد المنذري عدداً ضخماً من العالمات المسلمات في تكمته. وهذا يبين "الدور الذي لعبته المرأة المسلمة في الدراسة والتدريس، ورعاية العلم، والاهتمام به، وروايته، والعمل على نشره"^(٥).

ويذكر الفخر بن البخاري، أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدالواحد السعدي المقدسي الصالحي الحنبلي، المعروف بابن البخاري (-٦٩٠هـ)^(٦) في كتابه "أسنى المقاصد وأعذب الموارد" ما تيسر جمعه من مشيخة النساء سماعاً وإجازة. ومن شيخاته اللواتي سمع منهن، أو قرأ عليهن الشيخة ست الكتبة نعمة بنت علي بن يحيى الطراح البغدادي، والشيخة زينب بنت إبراهيم بن محمد بن أحمد بن إسماعيل القيسي، والشيخة رابعة بنت أحمد بن محمد بن قدامة المقدسية، الآنف

(١) التكملة لوفيات النقلة ٥٨/٤-٥٩.

(٢) نفسه (ط الرسالة) ١٠٩/٣-١١٠.

(٣) نفسه (ط الرسالة) ٣٧١/٣.

(٤) نفسه ٢٠٣/٣، ٥٨/٤، وانظر: المنذري وكتابه التكملة / ١١٨-١٢٠، ١٢٤، ١٢٥.

(٥) المنذري وكتابه التكملة / ٢٨١.

(٦) القلائد الجوهريّة ٣٧٨/٢-٣٨٨.

ذكرهن بين شيخات المنذري، وغيرهن من شيخاته. وقد ذكر خمساً وعشرين شيخاً
من الشيخات العالمات اللواتي تلقى العلم عليهن^(١).

واستجاز محمد بن جابر الوادي آشي (-٧٤٩هـ)^(٢) ثلاث عشرة امرأة من
العالمات المشهورات في دمشق، فقد تحدث في برنامجه عن الشيخات العالمات
اللواتي منحه الإجازات، يقول: "ومن النساء المجيزات"، ثم يذكر شيخاته الثلاث
عشرة بدمشق، ومنهن: "خديجة بنت عبدالرحمن بن محمد بن عبدالجبار المقدسية
(٦١٧-٧٠١هـ)، وخديجة بنت محمد بن سعد بن عبدالله بن سعد المقدسية
(٦١٧-٧٠١هـ)، وهديّة بنت علي بن عسكر، وست الوزراء (وزيرة) بنت عمر بن
أسعد بن المنجا، وزينب بنت الكمال. وغيرهن^(٣). وكان الوادي آشي قد رحل إلى
المشرق مرتين، كانت أولهما في حدود سنة ٧٢٠هـ، وكانت ثانيتهما في حدود
سنة ٧٣٤هـ. وكان قد أقام بدمشق مدة^(٤).

ويبين الوادي آشي أن عدداً من شيوخه أخذوا عن شيخات عالمات، ومنهم
الحافظ جمال الدين المزني، فقد أخذ عن شامية بنت الحسين بن محمد البكري،
وزينب بنت أحمد بن كامل بن عمر المقدسي، وغيرهما^(٥). وأجازت له عائشة بنت
عبدالهادي في آخرين^(٦).

(١) انظر: المشيخة الفخرية (خ شستريتي)، الفلاند الجهورية ٣٨٧/٢-٣٨٨.

(٢) انظر: برنامج الوادي آشي (مقدمة المحقق) ٩-١٨.

(٣) انظر: نفسه/ ١٦٩-١٧٣، الدرر الكامنة ٢/٢٠٩، ٢١٠، ٢١٢، ٢٢٣، ٢٢٤، تذكرة الحفاظ
٤/٢٦٨، ٢٦٩، درة الحجال ١/٢٥٣، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٣/٣٦، ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٢٦.

(٤) انظر: برنامج الوادي آشي (مقدمة المحقق) ٢/١٣-١٤٣.

(٥) انظر: نفسه/ ٩٣.

(٦) انظر: المعزة فيما قيل في المزة/ ٦٢.

وسمع ابن حجر العسقلاني عل العديد من الشيخات العالمات في بلاد الشام،
وقرأ عليهن، وحصل على الإجازات منهن، فقد أكثر من السماع على خديجة ابنة
إبراهيم بن إسحاق البعلية الدمشقية (٧١٢-٨٠٣هـ). وقرأ الكثير من الكتب الكبار،
والأجزاء على فاطمة ابنة محمد بن أحمد بن المنجا التنوخية
الدمشقية (٧١٢-٨٠٣هـ)، وحصل على الإجازة منها. كما أجازت له فاطمة ابنة
أحمد بن محمد الحسينية الحلبية (٧٣٠-٨١٣هـ)، وغيرها كثيرات^(١).

وسمع السخاوي على العديد من الشيخات العالمات، وقرأ عليهن، وحصل
على الإجازات منهن كتابة أو مشافهة، في دمشق، وبعلبك، والرملة، وغيرها^(٢).

ويذكر إمام النحاة أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الغرناطي
(٦٥٤-٧٤٥هـ)^(٣) ثلاث عالمات بين شيوخه، وهن: مؤنسة بنت الملك العادل
أبي بكر بن أيوب بن شادي، وشامية بنت الحسن بن محمد التميمية، وزينب
بنت عبداللطيف البغدادي. يقول: "وأما شيوخه الذين رويت عنهم بالسماع أو
القراءة فهم كثير، فأذكر الآن منهم جماعة"، ويذكر العالمات الثلاث الآنف
ذكرهن^(٤).

مشيخات النساء:

(١) انظر: إنباء الغمر ٥٣٤/١، ٢٥/٢، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٨٠، ٤٧٤، الضوء اللامع

١٦/١٢، ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٣٤، ٣٥، ٦٦، ٧٣، ٨١، ٨٥، ٨٨، ٨٩، ٩٣، ١٠١، ١٢٧.

(٢) انظر: الضوء اللامع ٣/١٢، ٦، ١٠، ٢٨، ٢٩، ٥٣، ١٢٩، ١٤٤، ٢٤٩.

(٣) انظر: الدرر الكامنة ٣٠٢/٤، طبقات الشافعية الكبرى ٣١/٦، نفع الطيب ٥٣٥/٢.

(٤) نفع الطيب ٥٥٠/٢-٥٥١، وانظر: ٥٣٥/٢، ٥٥٩، ٥٦٠.

ومما يبين إكثار المرأة من السماع على العلماء والعالمات، تصنيف العديد من المشيخات التي تسجل السماع على الكثير من العلماء والعالمات. وهذه المشيخات ذات اتصال بنظام التعليم آنذاك.

ومنها مشيخة زينب بنت الكمال، الآنف ذكرها. وتروى "بالسند إلى عائشة المقدسية، وابن جماعة، كلاهما عنها" وخرّج الحافظ علم الدين البرزالي جزءاً من مروياتها". وعليه عدة سماعات لعدد من الأئمة^(١).

ومنها مشيخة زاهدة بنت محمد بن عبدالله الظاهري، في القرن الثامن الهجري^(٢)، ومشيخة أم محمد زينب بنت يحيى بن عز الدين بن عبدالسلام السلمية (-٧٣٥هـ)^(٣)، ومشيخة عائشة بنت محمد بن مسلم الحرانية (-٧٣٦هـ)^(٤)، ومشيخة فاطمة بنت العز إبراهيم بن عبدالله بن أبي عمر المقدسية (-٧٤٧هـ)^(٥)، ومشيخة زينب بنت إسماعيل بن إبراهيم بن الخبّاز (-٧٥٠هـ)^(٦)، ومشيخة عائشة بنت محمد بن عبدالهادي المقدسية (-٨١٦هـ)^(٧)، وغيرها من المشيخات^(٨).

وتوجد مشيخات مشتركة بين عالم وعالمة، أو بين أكثر من ذلك، وهذا يعني اشتراك العالم والعالمة في عدد من الشيوخ الذين أجازوا لهما. ومن ذلك "المشيخة

(١) ذيول العبر/ ٢١٣، الدرر الكامنة ٢/٢٠٩، فهرس الفهارس ١/٤٦، ٢/٦٥٣.

(٢) الدرر الكامنة ٢/٢٠٥.

(٣) ذيول العبر/ ١٨٧، الدرر الكامنة ٢/٢١٥، فهرس الفهارس ٢/٦٥٤.

(٤) ذيول العبر/ ١٩٢، الدرر الكامنة ٢/٣٤٢، فهرس الفهارس ٢/٦٥٤.

(٥) ذيول العبر/ ١٥٩، الدرر الكامنة ٣/٣٠٠، فهرس الفهارس ٢/٦٥٤.

(٦) ذيول العبر/ ١٨١، الدرر الكامنة ٢/٢١١، فهرس الفهارس ٢/٦٥٤.

(٧) الضوء اللامع ١٢/٨، فهرس الفهارس ٢/٦٥٤.

(٨) انظر: فهرس الفهارس ٢/٦٥٣-٦٥٥.

الباسمة للقبابي وفاطمة"^(١). وهي مما خرّجه ابن حجر العسقلاني. وكان يهدف إلى إعلام طلبته، وإرشادهم. وكان يحرص على نشرها بين تلاميذه^(٢).

ومنها مشيخة مشتركة بين عالمين وعالمتين، وأما العالمتان فهما زينب بنت الكمال، وحببية بنت عبدالرحمن بن أبي بكر المقدسي (٦٥٤-٧٣٣هـ)^(٣).

وتوجد مشيخات أخرى رويت عن شيخات عالمات مثل زينب بنت الكمال، وعائشة المقدسية، وغيرهما^(٤).

موضوعات التعليم وكتبه:

كانت الفتاة تتعلم موضوعات عديدة، فقد تعلمت علوماً شملت العلوم الدينية، والعلوم اللغوية والأدبية، والتاريخ، وغيرها. ومن ذلك أنها تعلمت القرآن، والحديث، والشعر، والنحو، والخط، والتاريخ، وغيرها. ثم علمت المرأة تلك العلوم أيضاً. كانت الشيخة رابعة بنت أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (-٦٢٠هـ) حافظة للقرآن الكريم، تعلم النساء^(٥). وكانت الشيخة آمنة ابنة الفقيه أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسية (-٦٣١هـ) قد حفظت القرآن الكريم، "وكانت تلقن النساء والجواري"^(٦).

(١) القباني: زين الدين عبدالرحمن بن عمر القبابي المقدسي. فاطمة بنت الشيخ صلاح الدين ابن أبي الفتح المقدسي.

(٢) فهرس الفهارس ٣٣٦/١، ٦٣٦/٢، وانظر: ابن حجر - شاعر عبدالمنعم/ ٢١١، ٤٩٥-٤٩٧.

(٣) فهرس الفهارس ٦٤٤/٢.

(٤) انظر: نفسه ٦٢٥/٢، ٦٢٧، ٦٣١، ٦٣٣، ٦٣٧، ٦٤١، ٦٤٣، ٦٤٥.

(٥) التكملة لوفيات النقلة/ ط الرسالة ٣/١٠٩، ١١٠.

(٦) نفسه ٣/٣٧١.

ويذكر أن بنت القيم الواعظة، خديجة بنت يوسف بن غنيمة بن حسين، قد عني والدها بها، "وأسمعها الكثير، وعلمها الخط، والقرآن، والوعظ (٦٢٨-٦٩٩). وغير ذلك". سمعت من العديد من العلماء، وجوّدت، "وقرأت مقدمتين في العربية أو أكثر، وأعربت على النحاة. تفردت برواية المقامات الحريرية". ثم حدثت بدمشق، وقرأ عليها كثيرون القرآن، وجوده عليها. وقد كانت تعقد مجالس الوعظ للنساء^(١).

وكانت أسماء بنت الفخر إبراهيم بن عرصة (٦٤٦-٧٠٨هـ) "تلقن النسوة القرآن، وتعلمهن العلم"^(٢).

ويذكر ابن كثير أن الشیخة الصالحة أم زينب فاطمة بنت عباس بن أبي الفتح بن محمد البغداديّة (-٧١٤هـ) قد "ختمت نساء كثيرات القرآن، ومنهن أم زوجته عائشة بنت صديق، زوج الشيخ جمال الدين المزي. وهي التي أقرت ابنتها زوجتي أمة الرحيم زينب"^(٣) كما يقول.

وكانت الشیخة الصالحة العالمة قارئة القرآن أم فاطمة عائشة بنت إبراهيم بن صديق السلمي الدمشقية (٦٦١-٧٤١هـ) تحفظ القرآن، وتلقنه النساء. ويذكر ابن كثير، وهو زوج ابنتها أنها "كانت عديمة النظير في نساء زمانها، لكثرة عبادتها، وتلاوتها، وإقراءها القرآن العظيم بفصاحة، وبلاغة، وأداء صحيح، يعجز كثير من الرجال عن تجويده. وختمت نساء "كثيرات، وقرأ عليها من النساء خلق، وانتفعن بها"^(٤).

(١) انظر: العبر ٣/٣٩٨، الوافي بالوفيات ١٣/٢٩٦، ٢٩٧، درة الحجال ١/٢٦٤، شذرات الذهب ٥/٤٤٧، أعلام النساء ١/٣٣٩.

(٢) الدرر الكامنة ١/٣٨٣.

(٣) البداية والنهاية ١٤/٧٢.

(٤) انظر: البداية والنهاية ١٤/١٨٩، الدرر الكامنة ٢/٣٣٩، وفيات ابن رافع ١/٣٥٩-٣٦٠.

وكانت ببيرم بنت أحمد بن محمد بن أحمد بن سرور الديروبية المالكية، في القرن التاسع الهجري، قارئة للقرآن الكريم، تلت القرآن بالقراءات السبع على شمس الدين بن الصائغ، محمد بن يوسف بن أحمد بن محمد الديروبي الشافعي المقرئ (-٨٩٤هـ)^(١)، وحفظت الشاطبية، وأربعين النووي، وبردة البوصيري. وطالعت في رياض الصالحين، ورسالة أبي زيد القيرواني في الفقه المالكي. ودخلت بيت المقدس مع أبيها، وقرأت على عدد من الشيوخ هناك، وعقدت مجالس الوعظ ووعظت النساء^(٢).

واشتغلت النساء بالحديث النبوي، وعنين به عناية بالغة. وتظهر مشاركتهن في هذا المجال أكثر من ظهورها في غيره من المجالات. فقد سمعن، وأسمعن، وحضرن مجالس السماع، وعقدن مجالسه، وروين الحديث، وقد أقبلن على ذلك بشكل جلي. وتتحدث المصادر عن الكثير من النساء الشيخات المحدثات.

ويبدو أن الكثير من النساء المسلمات اللواتي اشتغلن بالحديث كن يتحلين بالصدق ويتحرين الدقة في الرواية. يقول الحافظ الذهبي: "وما علمت من النساء من اتهمت، ولا من تركوها"^(٣).

لقد كانت المرأة تتعلم الحديث الشريف، وتعلمه، وقد برزت عشرات بل مئات من المحدثات في بلاد الشام، في العصرين الأيوبي والمملوكي. وتبوأ كثرات منهن مكانة علمية مرموقة لا سيما في علم الحديث. ولتبين أثر المرأة في التعليم في هذا المجال، نختار عدداً من المحدثات اللواتي يمكن أن يمثلن هذه الظاهرة،

(١) الضوء اللامع ١٠/٨٩.

(٢) نفسه ١٢/١٥.

(٣) ميزان الاعتدال ٣/٣٩٥.

للحديث عن الدور الذي قمن به، وتبين البرنامج الدراسي، والكتب، والأجزاء الحديثية التي كن يتعلمنها، أو يعلمنها.

كانت أم الفضل كريمة ابنة عبد الوهاب بن علي بن الخضر القرشية الزبيرية الدمشقية، المعروفة ببنت الحَبَقْبِق (٦٤١هـ) محدثة جليلة، وكانت توصف بأنها مسندة الشام، وكانت سمعت من والدها، كما سمعت من العديد من العلماء، وروت عنهم. وأجاز لها العديد من العلماء. ثم أسمعت، وسمع منها، وقُرى عليها. يذكر أبو شامة المقدسي أنه سمع منها بقراءة أبي شامة نفسه، وبقراءة غيره. ومما سُمع منها بقراءته أو بقراءة غيره صحيح البخاري وغيره من كتب الحديث^(١)، وأجزائه، وأماليه. ومنها كتاب الأشراف لابن أبي الدنيا. ومسند عبدالله بن عمر، وأماله ابن مردويه، وصحيفة همام بن منبه، والفوائد المنتقاة والغرائب الحسان من حديث أبي بكر محمد الأبهري، وغيرها. وقد سمع منها جماعة من الحفاظ منهم أبو الحجاج يوسف بن خليل الدمشقي، ومحمد بن يوسف البرزالي، وغيرهما^(٢). ويذكر ابن الصابوني أنه سمع منها كثيراً، وأخذ منها علماً غزيراً^(٣).

وكانت المحدثة زينب بنت مكي بن علي بن كامل الحراني (٦٢٤-٦٨٨هـ) قد سمعت على العديد من العلماء والعالمات، وكانت ست الكتبة من شيخاتها اللواتي سمعت عليهن. ومما سمعته عدد من الأجزاء والأماله في الحديث، وسمعت كتاب القضاء لابن شريح، وكتاب الأشربة للإمام أحمد بن حنبل. وأجاز لها علماء وعالمات، ومن العالمات اللواتي أجزن لها الشيخة عفيفة الفارقانية^(٤).

(١) ذيل الروضتين/ ١٧٣.

(٢) انظر: الدارس ٥٣/١، ٣٥/٢، أعلام النساء ٢٤٢/٤-٢٤٣.

(٣) تكملة الإكمال/ ٢٨٣، ٢٨٤.

(٤) انظر: العبر ٣/٣٦٦، النجوم الزاهرة ٧/٣٨٢، الدارس ٥٥٥/١، ٥٦٨، ٧٤/٢، أعلام

النساء ١١٦/٢-١١٩.

روت الحديث، وسمع منها كثيرون من طالبي العلم وطالباته. وقد ازدحم على بابها بسفح قاسيون كثير من طالبي العلم والحديث، فسمعوا منها، وقرأوا عليها كتاباً، وأجزاء في الحديث. وقد قضت جُلّ سني حياتها في طلب الحديث، وروايته، وتلاوة القرآن الكريم^(١).

وحدثت ست الوزراء (وزيرة) بنت عمر بن أسعد بن المنجا التتوخية الدمشقية بدمشق، بصحيح البخاري، ومسند الشافعي، وغيرهما. وقد قرأ عليها كثير من طالبي العلم وطالباته، وكانت طويلة الروح في المجالس التي كانت تعقدها. وكانت توصف بأنها قد صارت رحلة زمانها، ورُحِل إليها من الأقطار. وطُلبت إلى مصر. وكانت آخر من حدث بالمسند بالسماع عالياً^(٢).

وكانت زينب بنت الكمال من الشيخات العالمات اللواتي اشتغلن بالحديث الشريف، وعنين به عناية كبيرة، ورحلن في سبيله، فقد سمعت على العديد من العلماء، وروت عنهم. وقد رحلت إلى بلدان عديدة مثل حلب، وبغداد، وماردين، وحران، والإسكندرية، والقاهرة، وسمعت فيها على كثير من العلماء والعالمات. وحصلت على إجازات منهم. ومنهم عجيبة الباقدارية من بغداد. وقد أجازتها بمسند أبي بكر الصديق، والجزء الأول من أمالي أبي حفص عمر بن إبراهيم الكتاني (-٣٩٠هـ)، والجزء الثاني من الإقراء للدار قُطني. أبي الحسن علي بن عمر بن أحمد البغدادي (-٣٨٥هـ)، وغيرها^(٣).

(٢) انظر: ذيول العبر: ١٩٥/، ١٩٦، الدرر الكامنة ٢/٢٢٣، ٢٢٤، ٨٤/٤، ٨٥، إنباء الغمر ١/٣٤٤، ٥٣٦، النجوم الزاهرة ٧/١١، الوافي بالوفيات ١٥/١١٧، القلائد الجوهريّة ٢/٤٢٥، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٨، ٥٠٠، ٥٧٣، ٥٧٤، الدارس ١/٢٩٨، ٣٠٧، ٣٠٨.

(٣) انظر: العبر ٢/١٦٧، ١٧٩، وفيات ابن رافع (حاشية) ١/٢٦٥.

وتجدر الإشارة إلى أن بنت الكمال هذه كانت قد أُحضرت في سنة ٦٤٨ هـ على الشيخة حبيبة بنت أبي عمر، ولم تكن زينب تتجاوز الثانية من عمرها آنذاك.

لقد روت بنت الكمال كتباً كباراً، وتفردت بكثير من الأجزاء بالإجازة كما يقول الذهبي وغيره. وتزاحم عليها طالبو العلم، وقرأوا عليها الكتب الكبار. وربما سمعوا عليها أكثر النهار، كما يقول ابن حجر العسقلاني. ويُذكر أنها كانت سهلة في التسميع، محبة لأهل الحديث. وقد تقدم القول إنها عقدت المجالس بالجامع الأموي. وسمع عليها ابن بطوطة، كما سمع عليها محمد الواني جزءاً من صحيح مسلم، وسمع عليها الكثيرون، ورووا عنها. وقد قرئ عليها في الحديث، وفضائل القرآن، والتاريخ، والكرامات، وغيرها.

ومن الممكن أن نتبين تحديد البرنامج التدريسي المتمثلين بما قرئ على زينب بنت الكمال، فقد سمع عليها الكثير من الأجزاء، والأمال، والكتب، والمشيات، فالإ جانب أهم مصادر الحديث مثل صحيح البخاري، وصحيح مسلم، تُذكر أجزاء حديثية كثيرة، ومسانيد، ومشيات، وغيرها. ومن الأجزاء:

- منتقى الجزء الأول والثالث من حديث أبي القاسم عبدالله المعروف بالحامض.
 - جزء فيه من أحاديث محمد بن عاصم بن جعفر المعافري المصري (ت ٢١٥ هـ).
 - الجزء الثاني من حديث الحافظ أبي الحسين محمد بن المظفر.
 - الجزء الثاني من الأفراد للدار قُطني عن عجيبة الباقارية.
 - من حديث أبي سليمان محمد بن الحسين الحراني بإجازتها من عجيبة الباقارية.
- ومن الأمالي:

- خمسة مجالس من أمالي أبي بكر أحمد بن سلمان الفقيه بإجازتها من أبي القاسم.
- الجزء الأول من أمالي أبي حفص عمر بن إبراهيم الكتاني بإجازتها من عجيبة الباقدرية.
- ثلاثة مجالس من أمالي المخدي.
- أمالي حمزة الكناني.
- أمالي طراد، وهي خمسة وعشرون مجلساً.

ومن المشيخات:

- من مشيخة الحسن بن شاذان.
- مشيخة عبدالرحمن بن الجوزي.

ومن المسانيد:

- مسند أبي بكر الصديق بإجازتها من عجيبة الباقدرية.
- مسند المقلين من الأمراء والسلطين لتمام الرازي (ت ٤٤٠هـ).
- مسند يحيى بن معين بن عون البغدادي (ت ٢٣٣هـ).

ومن الكتب:

- كتاب الاستذكار لابن عبدالبر في ما رسمه مالك بن أنس في موطنه.
- كتاب الدعاء للقاضي الحسن بن إسماعيل المحاملي (ت ٣٣٠هـ).
- كتاب تحريم النرد والشطرنج والملاهي لمحمد بن الحسين بن عبدالله الهاجري (ت ٣٦٠هـ).
- وفيات قوم من المصريين ونفر سواهم من سنة ٣٧٥هـ.
- كرامات الأولياء للحسن بن محمد الحلال.
- الأوائل لأحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل (ت ٢٨٧هـ).

- جميع فضائل القرآن لجعفر القرماني.
- الجزء الخامس من كتاب صفات رب العالمين لمحمد بن أحمد بن المحب المقدسي.
- كتاب الصمت لابن أبي الدنيا.
- الفرغ بعد الشدة لابن أبي الدنيا.
- كتاب الشكر لابن أبي الدنيا.
- الجزء الحادي عشر من فضائل الصحابة ومناقبهم للدار قطني^(١).

لقد كانت عناية المرأة كبيرة في اشتغالها بالحديث الشريف. ومن ذلك أن المسندة أمة العزيز، زينب بنت إسماعيل بن إبراهيم بن سالم بن الخباز (٦٥٩-٧٤٩هـ) قد عنت بالاشتغال بالحديث عناية كبيرة، فقد سمعت الكثير من كتب الحديث، وأجزائه، وأربعينات مختارة منه، ومشيوخات، وكتب في المغازي والفضائل، وغيرها^(٢).

ثم حدثت، وسمعت عليها كتب، وأجزاء في الحديث، وقُرئت عليها كتب وأجزاء أخرى. ومن ذلك "الجزء الأول من فوائد محمد بن المأمون عن شيوخه بسماعها من زينب بنت مكى، وخديجة بنت محمد، وحببية بنت أبي عمر المقدسية^(٣).

(١) انظر: ذيول العبر/ ١١٧، وفيات ابن رافع ٣١٦/١-٣١٨، الدرر الكامنة ٢٠٩/٢-٢١٠، الوافي بالوفيات ٦٨/١٥، الدارس ٢٩/٢، ٦٢، ٦٣، القلائد الجوهريّة ٤٥٧/٢، ٤٥٨، شذرات الذهب ١٢٦/٦، فهرس الفهارس ٦٦/٢، ٧١، أعلام النساء ٤٦/٢-٥١.

(٢) الدرر الكامنة ٢١١/٢-٢١٢، أعلام النساء ٥٤/٢-٥٥.

(٣) الدرر الكامنة ٢١١/٢-٢١٢، وفيات ابن رافع ١١٤/٢-١١٥.

وأُسمعت الشيخة فاطمة بنت محمد بن عبدالهادي المقدسية الصالحية، الأنف ذكرها، كثيراً على الحَجَّار، أحمد بن أبي طالب بن نعمة بن حسن بن علي بن بيان الصالحي الحَجَّار (٦٢٤-٧٣٠)^(١)، ومما سمعته عليه صحيح البخاري، ومسند عمر لأبي بكر أحمد بن سليمان بن الحسن النُّجَّاد (٢٥٣-٣٤٨هـ)^(٢)، وكتاب ذم الكلام لشيخ الإسلام أبي إسماعيل عبدالله بن محمد الأنصاري الهروي (-٤٨١هـ)^(٣)، وجزء علي بن عاصم، والأربعين للأجْرِّي، أبي محمد بن الحسين (-٣٦٠هـ)^(٤)، وغيرها. وأُسمعت على علماء آخرين. ورحلت إلى حلب، وحماة، وحمص، ومصر، وغيرها. وأجازها العديد من العلماء في تلك البلدان. ثم حدثت فاطمة كثيراً، وقرأ عليها طالبو العلم الكثير من الكتب والأجزاء بالصالحية. وأجازت بعضهم. ومما سُمع عليها أو قرئ كتاب ذم الكلام الأنف ذكره، وكتاب صفة النار لابن أبي الدنيا، وغيرهما^(٥). وأجازت للعديد من طالبات العلم، ومنهن ست القضاة ابنة أحمد بن أبي بكر بن عبدالرحمن المقدسي الصالحي (٧٩٧-٨٦٤هـ)^(٦).

وشاركتها أختها عائشة (٧٢٣-٨١٦هـ) في كثير من مسموعاتها، وإجازتها. لقد أُسمعت على العديد من العلماء، ومنهم والدها والحجار، وغيرهما من العلماء. ورحلت إلى حلب. والخليل، ونابلس، وسمعت، وأجازها عدد من العلماء في تلك البلدان. وسمعت على الشيخة عائشة بنت محمد بن المسلم الحراني الأنف ذكرها،

(١) الدرر الكامنة ١/١٥٢.

(٢) العبر ٢/٧٨-٧٩.

(٣) نفسه ٢/٣٤٣.

(٤) العبر ٢/١٠٧، كشف الظنون ١/٥٢.

(٥) إنباء الغمر ٤/٣١٣-٣١٤، الضوء اللامع ١٢/١٠٣.

(٦) الضوء اللامع ١٢/٥٦، ٥٧.

كما سمعت على ست الفقهاء بنت الواسطي، وزينب بنت الكمال، وزينب بنت يحيى بن عبدالسلام (٦٤٨-٧٣٥)^(١)، وحصلت على الإجازات منهن. كما حصلت على العديد من الإجازات من علماء آخرين.

ومن أهم الكتب التي سمعتها أو روتها صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وأجزاء في الحديث مثل جزء أبي الجهم، وسيرة ابن إسحاق تهذيب ابن هشام، وغيرهما. ثم حدثت بالكثير من مسموعاتها، "وروت الكثير، وأخذ عنها الأئمة سيما الرحالة فأكثرُوا. وكانت سهلة السماع، لينة الجانب. وقرأ عليها طالبو العلم كتباً مثل صحيح البخاري، ومسند الدرامي، ودم الكلام للهروي، وغيرها. ومنحت الإجازات. ومن أخذوا عنها ابن حجر العسقلاني، وقد أكثر من الأخذ عنها، وقرأ عليها كتباً عديدة، كما قرأ عليها غيره من طالبي العلم. ومن طالبات العلم اللواتي أجازتهن اثنتان من بنات ابن حجر العسقلاني، وهما زين خاتون (٨٠٢-٨٣٣هـ)^(٢)، ورابعة (٨١١-٨٣٢هـ)^(٣)، ويذكر ابن حجر نفسه أن ابنته الأولى، وهي بكر أولاده، فقد "أجاز لها كثير من المسندين من أهل دمشق" وأن ثانيتهما قد أجاز لها كثير من أهل الشام أيضاً^(٤). وأجازت الشيخة عائشة ابنة محمد (٨١٥-٨٦٩هـ). يذكر السخاوي: "وأجاز له خلق من الشام، ومصر، وغيرهما، منهم عائشة ابنة ابن عبدالهادي"^(٥)^(٦).

(١) الدرر الكامنة ٢/٢١٥، شذرات الذهب ٦/١١٠، أعلام النساء ٢/١٢٣، ١٢٣.

(٢) إنباء الغمر ٨/٢١٢، الضوء اللامع ١٢/٥١.

(٣) إنباء الغمر ٨/١٨٢، الضوء اللامع ١٢/٣٤.

(٤) إنباء الغمر ٨/١٨٢، ٢١٢.

(٥) الضوء اللامع ٧: ٢.

(٦) إنباء الغمر ٧/١٣٢-١٣٣، الضوء اللامع ١٢/٨١.

أعلام النساء ٣/١٨٩-١٩٠.

واشتغلت المرأة في بلاد الشام بالفقه. وقد تقدم القولُ حول تصدر الفقهية فاطمة بنت محمد بن أحمد السمرقندي للاشتغال بالعلم في عهد نور الدين زنكي. ومن الطبيعي أن تستمر المرأة في بلاد الشام في اشتغالها بالفقه.

ومن الفقيهات اللواتي اشتغلن بالفقه وغيره من العلوم، وبرزن في هذا المجال ست الوزراء بنت محمد بن عبدالكريم بن عثمان المشهور بابن الشماع (٦٥٩-٧٣٦هـ). وكانت متفهمة على مذهب أبي حنيفة، حفظت كثيراً من الفقه الحنفي، وقد تفقّعت على والدها. وكانت قد كتبت وقرأت القرآن. وأسمعها والدها من العديد من العلماء^(١).

وكانت أم الحسن فاطمة بنت محمد بن مكي العاملي الجزيني، المدعوة ست المشايخ، عالمة فاضلة فقيهة. سمعت من المشايخ، وروت عن أبيها، وحصلت على الإجازة. ويذكر أن والدها كان "يأمر النساء بالافتداء بها، والرجوع إليها في أحكام الحيض، والصلاة، ونحوها"^(٢). وكان والدها "عالماً ماهراً، فقيهاً، محدثاً، مدققاً"^(٣).

وكانت الشيخة العالمة الفقهية فاطمة بنت عباس بن أبي الفتح بن محمد البغدادية، الآنف ذكرها، من العالمات الفقيهات المشهورات. ويُذكر أنه قد انتفع بها نساء أهل دمشق، "وكانت قد تفقّعت عند المقادسة بالشيخ ابن أبي عمر، وغيره. وكانت غزيرة العلم، "سيدة نساء زمانها". وكانت تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر"^(٤).

(١) الجواهر المضية عن أعلام النساء ١٧٤/٤.

(٢) أمل الآمل ١/١٧٩، ١٨٠، ١٩٣، أعلام النساء ١٣٩/٤.

(٣) انظر: أمل الآمل ١/١٨١-١٨٣.

(٤) انظر: العبر ٤/٣٩، ٤٠، الدرر الكامنة ٣/٣٠٧، ٣٠٨، البداية والنهاية ١٤/١٧٢.

ويذكر ابن كثير أنها "كانت تحضر مجلس الشيخ تقي الدين بن تيمية، فاستفادت منه"، وكان ابن تيمية "يثني عليها، ويصفها بالفضيلة والعلم. ويذكر عنها أنها كانت تستحضر كثيراً من المغني. وأنه كان يستعد لها من كثرة مسائلها، وحسن سؤالاتها، وسرعة فهمها"^(١).

وأجازت المسندة أسماء بنت خليل بن كليدي العلائي (-٧٩٥هـ) حفيدها الشيخ القرقيشي بالفتوى.

وعنيت المرأة بالشعر، وظهرت شاعرات في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي^(٢)، وهو ما لا مجال للتفصيل فيه في هذا المجال. ولكني أشير بإيجاز إلى ما يتصل بما نحن بصدد الحديث عنه.

حفظت المرأة للشعر. وحصلت على الإجازة فيه. ومن ذلك أن عائشة بنت إبراهيم بن حمد بن عثمان بن عبدالله، ابنة القواس الدمشقية (٦٤٥-٧١٨هـ) قد حصلت على الإجازة من عدد من الشعراء من أمثال البهاء زهير، ومحبي الدين ابن زيلاق، ونور الدين الاسعدي، وشهاب الدين التلعفري، وغيرهم^(٣).

وكانت مؤسسة بنت محمد بن علي بن البيطار أديبة فاضلة، وشاعرة مكثرة. سمع بعض أشعارها محمد بن يحيى بن سعد، وأبو اليسر بن الصائغ، وعبدالرحمن ابن أحمد الذهبي، وكان ذلك في سنة ٧٤٩هـ^(٤).

(١) الأوس الجليل ٦٢/٢، فهرس الفهارس ٧٩١/٢.

(٢) انظر: الحدايق الغناء في أخبار النساء، نزهة الجلساء في أشعار النساء، مهذب الروضة الفيحاء في تواريخ النساء، خريدة القصر - قسم مصر ٢/٢٢٠، شفاء القلوب / ٤٦٥-٤٦٧، سير أعلام النبلاء ٩٤/٢١، ٩٥، تكملة الإكمال / ٤٧-٥٠.

(٣) الدرر الكامنة ٣٣٨/٢، ٣٣٩، أعلام النساء ٣/٣.

(٤) انظر: الدرر الكامنة ١٥٧/٥.

وقرئت أشعار أصحاب الحديث للحاكم النيسابوري على المحدثثة رقية بنت
عبدالله بن عبدالمحسن بن الأنماطي^(١).

وعنيت زينب بن الكمال بالشعر، يذكر السبكي أنها كتبت إليه أبياتاً من شعر
السلفي^(٢).

وعني عدد من النساء المتعلمات بالخط، فتعلمنه، وجودنه، كما تقدمت الإشارة
إلى أن ست القضاة حفصة ابنة يحيى بن محمد بن عمر بن حجي تعلمت الخط.
وأن خديجة بنت يوسف بن غنيمة البغدادي جودت الخط على جماعة.

واشتغلت المرأة بالتصوف. وقد تقدم القول حول إنشاء خوانق وربط للنساء في
دمشق، وحلب، وبيت المقدس. كما تقدم القول حول تبين دورها في تلك
المؤسسات، علمياً واجتماعياً. وقد كانت تعقد مجالس الذكر والوعظ فيها، كما
كانت تعقدها في الزوايا. ولعله يمكن القول إنهن كنّ يقرأن كتباً في التصوف،
ويمارسنه سلوكاً عملياً.

ولعله تمكن الإشارة إلى أن الشيخة العالمية ملكة بنت داود بن محمد بن سعيد
القرطلي الصوفية (٤٠٣-٥٠٧هـ)، إحدى شيخات الحافظ ابن عساكر، قد "سكنت
دمشق مرة في دويرة السُميساطي"، أو الخانقاه السُميساطية^(٣)، واشتغلت بالعلم،
وسمع منها طالبوه. ومنهم ابن عساكر، يقول: "وأجازت لي جميع حديثها". كما
يذكر أنه قد سمع منها شيخه أبو الفرج الصوري^(٤).

(١) انظر: كشف الظنون ١/١٠٤، أعلام النساء ١/٤٥٣.

(٢) انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٦/٤٠، ٤١.

(٣) انظر: الدارس ٢/١٥١-١٦١.

(٤) تاريخ دمشق - قسم النساء / ٣٩٣.

وإذا كان الأمر كذلك في عهد ابن عساكر، فإنه سيكون كذلك، في أغلب
الظن، في العصرين الأيوبي والمملوكي، لا سيما وأنه قد خصت خوانق وربط
للنساء، كما تولى بعضهن مشيخة بعض الزوايا.

فهرس المصادر والمراجع

- ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته ومنهجه وموارده في كتابه الإصابة - د. شاكر محمد عبدالمنعم - دار الرسالة للطباعة - بغداد - ١٩٧٨م.
- إجازات السماع في المخطوطات القديمة - د. صلاح الدين المنجد - مجلة معهد المخطوطات العربية - ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.
- الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة - ابن شداد، عز الدين محمد ابن علي بن إبراهيم:
- تاريخ مدينة دمشق - تحقيق د. سامي الدهان - المعهد الفرنسي - دمشق - ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م.
- تاريخ مدينة حلب - تحقيق دومينيك سور ديل - المعهد الفرنسي - دمشق - ١٩٥٣م.
- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام - عمر رضا كحالة - مؤسسة الرسالة - بيروت.
- أمل الأمل - الشيخ محمد بن الحسن (الحر العاملي) - تحقيق السيد أحمد الحسيني - مكتبة الأندلس - بغداد الطبعة الأولى - ١٣٨٥هـ.
- إنباء الغمر بأبناء العمر - ابن حجر العسقلاني - تحقيق د. حسن حبشي - القاهرة.
- إنباء الغمر بأبناء العمر - ابن حجر العسقلاني - الطبعة الأولى - حيدر اباد الدكن.
- الأانس الجليل بتاريخ القدس والخليل - مجير الدين العلمي الحنبلي - مكتبة المحتسب. عمان - ١٩٧٣م.
- البداية والنهاية - الحافظ ابن كثير (٧٧٤هـ) - مكتبة المعارف - بيروت.

- برنامج الوادي آشي، محمد بن جابر التونسي - تحقيق محمد محفوظ - الطبعة الثالثة - دار الغرب الإسلامي - بيروت - ١٩٨٢ م.
- تاريخ مدينة دمشق - تراجم النساء - الحافظ ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (٥٧١هـ) - تحقيق سكينه الشهابي - الطبعة الأولى - دمشق - ١٩٨٢ م.
- تذكرة الحفاظ - شمس الدين الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ) - دار إحياء التراث العربي - ١٣٧٤هـ.
- التربية والتعليم في الإسلام - سعيد الديوه جي - الموصل - ١٤٠٢هـ/١٩٨٢ م.
- تكملة إكمال الإكمال في الأنساب والألقاب - ابن الصابوني، جمال الدين أبو حامد محمد بن علي المحمودي (٦٨٠) - حققه وعلق عليه د. مصطفى جواد - مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧ م.
- التكملة لوفيات النقلة - زكي الدين المنذري، أبو محمد عبدالعظيم بن عبدالقوي (٦٥٦هـ) حققه وعلق عليه د. بشار عواد معروف. مطبعة الآداب بالنجف الأشرف.
- التكملة لوفيات النقلة - زكي الدين المنذري - تحقيق د. بشار عواد معروف - مؤسسة الرسالة.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال - الحافظ المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف - تحقيق د. بشار عواد معروف - الطبعة الثانية - بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣ م.

- الحدائق الغناء في أخبار النساء- أبو الحسن علي بن محمد المعافري المالقي- (خ شسترتي رقم ٣٠١٦) (نسخة بمركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية).
- الحدائق الغناء في أخبار النساء- أبو الحسن علي بن محمد المعافري المالقي- تحقيق وتقديم د. عائدة الطيبي- الدار العربية للكتاب- ليبيا- تونس- ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- خريدة القصر وجريدة العصر - العماد الأصفهاني- قسم شعراء مصر- نشره أحمد أمين و د. شوقي ضيف، و د. إحسان عباس- لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة- ١٩٥١م.
- خطط الشام- محمد كرد علي- دار العلم للملايين- بيروت.
- الدارس في تاريخ المدارس- عبدالقادر بن محمد النعيمي- تحقيق جعفر الحسني- مطبعة الترقوي بدمشق- ج (: ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م. ج ٢: ١٣٧٠هـ/١٩٥١م.
- درة الحجال في أسماء الرجال (ذيل وفيات الأعيان)- ابن القاضي أبو العباس أحمد ابن محمد المكناسي (١٠٢٥هـ)- تحقيق محمد الأحمدى أبو النور- دار التراث بالقاهرة، المكتبة العتيقة بتونس- الطبعة الأولى- ١٣٩٠، ١٣٩١هـ، ١٩٧٠، ١٩٧١م.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة- ابن حجر العسقلاني- تحقيق محمد سيد جاد الحق- مطبعة المدني- الطبعة الثانية- مصر- ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م.
- ذيل تذكرة الحفاظ للإمام شمس الدين الذهبي- الحافظ أبو المحاسن الحسيني الدمشقي- دار إحياء التراث العربي.

- الذيل على الروضتين (تراجم رجال القرنين السادس والسابع للهجرة) - أبو شامة المقدسي، شهاب الدين أبو محمد عبدالرحمن بن إسماعيل (ت ٦٦٥هـ) - الطبعة الثانية - دار الجيل بيروت - ١٩٧٤م.
- ذيول العبر - شمس الدين الذهبي - تحقيق محمد السعيد زغلول - بيروت - ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- رحلة ابن بطوطة - دار التراث - بيروت - ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.
- سير أعلام النبلاء - شمس الدين الذهبي - ج: ١٢، ٢٠ - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ / ١٤٠٥هـ / ١٩٨٣م، ١٩٨٥م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب - ابن العماد أو الحنبلي، أبو الفلاح عبدالحى (١٠٨٩هـ) - منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت.
- شفاء القلوب - أحمد بن إبراهيم الحنبلي - تحقيق د. ناظم رشيد - العراق - ١٩٧٨م.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع - محمد بن عبدالرحمن السخاوي - دار مكتبة الحياة - بيروت.
- طبقات الشافعية الكبرى - تاج الدين السبكي، عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي (٧٧١هـ). تحقيق محمود الطناجي، وعبدالفتاح الحلو - الطبعة الأولى - مطبعة عيسى البابي الحلبي - ج: ٦، ١٠، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م، ١٩٧٦م.
- العبر في خبر من عبر - شمس الدين الذهبي - تحقيق محمد السعيد زغلول - بيروت - ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

- فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات - عبدالحی ابن عبدالكبير الكتاني - باعتناء د. إحسان عباس - دار الغرب الإسلامي - بیروت - الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- فی رحاب دمشق - محمد أحمد دهمان - دار الفكر - دمشق - الطبعة الأولى - ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحيّة - محمد بن طولون الصالحيّ الدمشقي (٩٥٣هـ) - تحقيق محمد أحمد دهمان - مجمع اللغة العربيّة بدمشق - الطبعة الثانية - ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.
- لحظ الألفاظ بذيل طبقات الحفاظ - الحافظ تقي الدين محمد بن فهد المكي - دار إحياء التراث العربيّ.
- مختصر تنبيه الطالب وإرشاد الدارس إلى أحوال دور القرآن والحديث والمدارس - عبدالباسط العلموي - تحقيق د. صلاح الدين المنجد - دمشق - ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م.
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان - الياضي، عفيف الدين أبو السعادات عبدالله بن أسعد (ت ٧٦٨هـ) حيدر آباد الدكن - ١٩١٨م.
- المشيخة الفخرية (خ شستريتي - رقم ٣٧٠٥).
(نسخة بمركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية).
- المعزّة فيما قيل في المرّة - شمس الدين محمد بن علي بن طولون الدمشقي - تحقيق محمد عمر حمادة - الطبعة الأولى - دمشق - ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم - أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زادة - مراجعة وتحقيق كامل بكري وعبدالوهاب أبي النور - مطبعة الاستقلال الكبرى - القاهرة.

- منادمة الأطلال - عبدالقادر بدران - الطبعة الأولى - دمشق -
١٣٧٩هـ/١٩٥٩م.
- المنذري وكتابه التكملة لوفيات النقلة - د. بشار عواد معروف - مطبعة الآداب
في النجف الأشرف - ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
- مهذب الروضة الفيحاء في تواريخ النساء - ياسين بن خير الله العمري -
تحقيق رجاء محمود السامرائي - بغداد - ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال - شمس الدين الذهبي.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - ابن تغري بردي، جمال الدين أبو
المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتابكي (٨٧٤هـ) - المؤسسة المصرية
للتأليف والترجمة والنشر - القاهرة.
- نزهة الجلساء في أخبار النساء - جلال الدين السيوطي.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب - أحمد بن محمد المقرئ التلمساني -
تحقيق د. إحسان عباس - دار صادر - بيروت - ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
- الوافي بالوفيات - صلاح الدين الصفدي، خليل بن أبيك - فيسبادن.
- وثائق مقدسية تاريخية - د. كامل جميل العسلي - الطبعة الأولى - مطبعة
التوفيق - عمان - ١٩٨٣م.
- الوفيات - ابن رافع السلامي، تقي الدين أبو المعالي محمد بن رافع
(٧٧٤هـ) - حققه وعلق عليه صالح مهدي عباس - أشرف عليه وراجعه د.
بشار عواد معروف - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى - بيروت -
١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.